أهمية مخطوطة البندريات للسيد هبة الدين الشهرستاني عام 1912–1913 في كتابة تاريخ الهند الحديث

أ.د. متعب خلف جابر الريشاوي أ.م.د. أسعد حميد أبوشنة
كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة المثنى

The Importance of the Bandarism Manuscript of Mr. Hebauddin Shahristani 1912-1913 in the History of Modern India

Prof. Dr. Meteb Khalaf Al-Rishawi
Ass. Prof. Dr. Asaad Hameed Abushna
College of Education for Human Sciences\ University of Muthanna

Abstract

Manuscripts are important sources in the study of the various political, social and economic aspects in the history of nations and peoples, because they allow access to information, authentic and new, despite their progress and difficulty in access to it. The manuscript may be missing and difficult to obtain, but after it is discovered becomes the historical material which has value big.

In the manuscript of the Bandariyat, he wrote his experience in writing the history of modern India through his journey to India in 1912. It was one of the pioneering experiences in this field, for several reasons including Mr. Hebauddin's personality, cultural and cognitive activities, It took place just before the First World War in 1914, and the arrival of the British forces that occupied Iraq from bases in India.

The historical value of Bandarism is based on quality rather than quantity. The qualitative value in the history of India depends on or is based on direct observation and observation. The quantity is based on transport, which is often free from big mistakes.

Any contribution to the writing of the history of India is an important achievement, because that achievement, if it is based on transport, no matter how great it is, it is small in comparison with India's great diversity religiously, ethnically and culturally. Is of great importance because it will add to many aspects in the history of India, and was done only after the researcher made a great effort.

Keywords: Manuscripts, Bandariyat, Hebauddin Shahristani, History, India.

الملخص

تعد المخطوطات من المصادر المهمة في دراسة مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تاريخ الامم والشعوب، لأنها تتيح الاطلاع على معلومات أصيلة وجديدة رغم قدمها وصعوبة الوصول إليها، فالمخطوطة قد تكون مفقودة ويتم الحصول عليها بصعوبة، إلا أنها بعد اكتشافها تصبح المادة التاريخية التي فيها ذات قيمة كبيرة.

ففي مخطوطة البندريات سطر السيد هبة الدين الشهرستاني تجربته في كتابة تاريخ الهند الحديث من خلال رحلته الى الهند عام 1912، فكانت من التجارب الرائدة في هذا المجال، لأسباب عدة منها شخصية السيد هبة الدين ونشاطاته الثقافية والمعرفية، والمرحلة الزمنية التي كان يمر بها العالم والهند، فهي جرت قبيل الحرب العالمية الاولى عام 1914، ومجيئ القوات البريطانية التي احتلت العراق منطلقة من قواعدها في الهند.

إن القيمة التاريخية لمخطوطة البندريات تعتمد على النوعية وليس الكمية، فالقيمة النوعية في تاريخ الهند تعتمد أو تقوم على المشاهدة والملاحظة المباشرة، أما الكمية فتقوم على أساس النقل الذي لا يخلوا في كثير من الاحيان من الاخطاء الكبيرة.

إن أي إسهام في كتابة تاريخ الهند يعد إنجازاً مهماً؛ لأن ذلك الانجاز إن كان مبنياً على النقل، فمهما كان ذلك النقل كبيراً فانه يعد صغيراً أمام التنوع الكبير الذي تشهده الهند دينياً وعرقياً وثقافياً، أما إذا كان قائماً على المشاهدة، فمهما كانت المعلومات قليلة فإنها ذات أهمية كبيرة لأنها ستشكل إضافة لجوانب عدة في تاريخ الهند، ولم يتم إلا بعد قيام الباحث بمجهود كبير.

الكلمات المفتاحية: مخطوطة، البندريات، هبة الدين الشهرستاني، تاريخ، الهند.

مفهوم التاريخ عند هبة الدين الشهرستاني

أولى هبة الدين الشهرستاني[1] علم التاريخ اهتماماً خاصاً؛ لما له من صلة وثيقة في التعرف على تجارب الانسانية، وأهمية التعرف على تلك التجارب لدى المتصدين للحركات الاصلاحية أولا، واستنباط الدروس والعبر التي تتوافق والنهج الوعظي لرجل الدين ثانياً، وقد بدا أثر تلك الركيزتين ملموساً على نتاج السيد هبة الدين الفكري في ميدان مدوناته التاريخية الزاخرة في موضوعاتها كماً ونوعاً، حتى فاق عددها العشرات ما بين المخطوط والمطبوع، وقد تنوع ذلك الناج ما بين التاريخ الاسلامي والحديث والمعاصر، محلياً وعربياً واسلامياً.

لقد بذل السيد هبة الدين جهوداً مميزة جسد فيها آراءه في حركة التاريخ والقوانين المتحكمة فيها والمؤثرة في مسارها، ولم تكن هذه الرؤى بعيدة عن مؤثرات التراث العربي–الاسلامي، ومع ذلك لابد من القول أن هبة الدين لم يسع الى وضع نظرية أو فلسفة متكاملة الابعاد عن علم التاريخ فكراً ومنهجاً في مؤلف مستقل بمعالجاته، إنما هي بالدرجة الاولى أفكار وآراء مبثوثة في كتبه ومدوناته هنا وهناك[2].

وقد مكنته تلك الاراء من تبوء مكانة مهمة في المدرسة التاريخية العراقية المعاصرة[3]، ويرى هبة الدين ان هنالك صلة بين التاريخ والادب والحياة والمجتمع وان هذه الصلة يجب ان لاتنقطع، ويجب على الباحث النظر فيما حوله، وان يحدد موقفه من الاحداث[4]. لقد اتسمت دراسات السيد هبة الدين التاريخية بطابعها التحليلي، فالكتابة التاريخية لديه وعي معمق عن أسباب الاحداث وتطوراتها ونتائجها، لذا خصص جزءاً حيوياً من جهوده واهتماماته الفكرية للتاريخ بحثاً وتأملاً، وقد عَرّف الشهرستاني التاريخ بأنه:" من أنفع العلوم لعموم الانسانية، فهو الحافظ لذكريات الاخبار وسيئات الاشرار، وهو سجل دونت فيه صنائع واعمال السلف، فلابد من دراسة ما مضى وما جرى لأجل التذكر والاعتبار"، هكذا التاريخ عند هبة الدين سجل حافظ لأعمال الانسان خيراً أو شراً، مما يتطلب الوقوف عندها، تأملاً ودراسةً، سعياً وراء الدروس والعبر من تجارب الماضي، وتأكيد صحيحها وتجاوز أخطاءها من أجل الحاضر والمستقبل، لذا أكد الالتزام بأسس منهج البحث التاريخي، الى جانب إبراز أهمية الدراسات التاريخية وأغراضها، فعلى سبيل المثال نشر

---

(1) محمد علي بن حسين بن محسن بن مرتضى الحسيني(1884 - 1967) المعروف بهبة الدين الشهرستاني. باحث من أعيان الشيعة الإمامية في العراق عالم ومجتهد كبير، ومفسر للقرآن، محارب ومجاهد، ولد في سامراء أبوه السيد حسين الحائري الكاظمي، والدته السيدة مريم أبنة الميرزا مهدي الشهرستاني موسوية النسب، ويصل نسبه من خلال ثلاثين واسطة يزيد بن علي بن الحسين.، بدأ دراسته الرسمية في العاشرة من عمره بدراسة مقدمات العلوم الإسلامية، ثم عكف خلال تسع سنوات على دراسة علوم الصرف، والنحو، والمنطق، والعروض، وعلم البيان، والبديع، والحديث، والدراية، والرجال، والفقه والأصول، والتاريخ، والحساب، والرياضيات في كربلاء .بعد وفاة والده انتقل إلى النجف فاستفاض علمياً من اساتذة كبار أمثال: الآخوند الخراساني، والسيد كاظم اليزدي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، فكانت له مكانة بين مجتهدي الشيعة. وله مؤلفات عدة مؤلفاته منها: نهضة الحسين، الهيئة والاسلام، تحريم نقل الجنائز، مواهب المشاهد في واجبات العقائد، المعجزة الخالدة، الدلائل والمسائل، ثقات الرواة، صدف اللالئ، أسرار الخيبة في الشعيبة وغيرها. لم يقتصر دور الشهرستاني على الدراسة والبحث والتأليف، بل شارك في مقارعة الاستعمار البريطاني أبان احتلاله للعراق فكان له دور كبير الى جانب المجاهدين في معركة الشعيبة ضد القوات البريطانية عام 1915، لقد عرف عن هبة الدين علاقاته المنتشرة في العالم الاسلامي، فعلى سبيل المثال أنشأ علاقة مع مفتي مصر آنذاك شيخ محمد عبده، وصاحب مجلة المنار محمد رشيد رضا، وآخرين من رؤساء المجلات كالمقتطف والهلال، كما أنشأ علاقة وثيقة بين المراكز الثقافية في العراق و مصر وسوريا، وافتتح مدرستين في البحرين هما مدرسة الإصلاح و مدرسة الإسلام، أسس مجلة العلم في النجف الاشرف، كما تولى وزارة المعارف في العراق أبان العهد الملكي، وفي النهاية أصيب بالعمى، فكانوا يقرأون له الكتب، وقد توفي هبة الدين في ليلة يوم الإثنين السادس والعشرين من شهر شوال عام 1386 هـ/السادس من شباط 1967عن عمر ناهز الثلاث وثمانين سنة ودفن في حرم الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) في بغداد. للاطلاع على تفصيلات أكثر يُنظر: محسن أمين العاملي، أعيان الشيعة، ج3، ج7، ط1، بيروت ؛ عبدالكريم الدباغ، كواكب المشهد الكاظمي في القرنين الاخيرين والقرن الحالي، ج1، ط1، منشورات العتبة الكاظمية المقدسة، 2010، ص481-485؛ مجلة الموسم العددان 132، 133 السيد هبة الدين الشهرستاني فيلسوف الاصلاح الديني والمفكر الوطني العراقي(عددان خاصان)، 2017؛ علاء حسين الرهيمي، اسماعيل اسماعيل طه الجابري، أسرار الخيبة في فتح الشعيبة 1914-1915 لهبة الدين الشهرستاني، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، الاصدار 3، 2008، ص30-81.

(2) اسماعيل طه الجابري، هبة الدين الشهرستاني منهجه في الاصلاح والتجديد في كتابة التاريخ، ط1، بغداد، 2008، ص107.

(3) للاطلاع على تفصيلات أكثر حول رواد المدرسة التاريخية المعاصرة في العراق ينظر: عادل تقي البلداوي، الرواد الاكاديميون ودورهم في بناء المدرسة التاريخية العراقية المعاصرة، ط1، 2016.

(4) حسين لفته حافظة، مكانة الادب عند السيد هبة الدين الشهرستاني (مجلة العلم انموذجاً)، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد 1، العدد12، جامعة الكوفة، 2011، ص332.

الشهرستاني مقالاً في مجلة العلم ذكر فيه:" إن علم التاريخ نال اليوم أهمية عظمى حتى أخذ لنفسه أوفر حظ من المكاتب والكتب، وأوقات التعليم والمؤتمرات والصحف، كل ذلك لأجل التذكر والاعتبار بمن مضى"[1].

للتاريخ عند هبة الدين أهداف عدة منها (سعادة الانسان)، وتنقسم الى ثلاثة أقسام:

1- سعادة البدن، في اشباع متطلباته الضرورية، بما يتفق مع الممكن ولا يتعارض مع الشرع.
2- سعادة الروح، التي يتحقق فيها الايمان المطلق بالله سبحانه وتعالى والاستنارة بالعلوم والمعارف عن طريق التأمل والدرس.
3- سعادة النوع، أي رفاهية الانسانية جمعاء، حيث تتم إشاعة روح التفاهم بين بني البشر، ونبذ الحروب والصراعات، وسيادة العقلانية في العلاقات بين الدول فيسود بهذه الاسس الاستقرار والامن العالميان.

اعتقد هبة الدين ان حركة التاريخ ليست عشوائية، وإنما تتحرك وفق أنظمة غير محسوسة، محدداً خمس قوى فاعلة أساسية صانعة لأحداث التاريخ، وتتصدر تلك القوى بحسب أولوياته بدءاً من (الله سبحانه) فهو خالق كل شيء، وان أي فعل صغر أم كبر لا يخرج عن حدود المشيئة الالهية، مؤكداً انه لابد للكون من خالق تنتهي اليه سلسلة الاحداث، محيط بأوضاعها، عالم بأفعالها[2]. ويولي الشهرستاني (الدين) أهمية كبيرة ضمن العنصر الاول، ويعده سبباً في نهوض وقوة دولة العرب المسلمين، مؤكداً أن الابتعاد عن جوهر الدين يؤدي الى نكوص وتردد يتمخض عنه شلل في حركة الامة مشدداً على أهمية التمسك بقيم الدين الاسلامي لأنها مرتكز مجد العرب المسلمين خلال الصدر الاول للإسلام[3]، أما القوة الثانية فهي (العقل)، ويعده السيد هبة الدين منحة الخالق للانسان كي يميز به الحق من الباطل، ويستدل به على الصواب والخطأ، وتسهل ادراكه لأسرار الحياة، ومن ثم سبر أغوار التاريخ ومفاهيم الفلسفة. أما القوة الثالثة فهو (البطل)، وهناك نظرية في تفسير التاريخ تبناها الفيلسوف الاسكتلندي توماس كارليل 1795-1881م (Thomas Carlyle) في كتابه (البطل)، وقد أطلع هبة الدين على ذلك الكتاب وقدم عرضاً موجزاً له ونشر الفصل الخاص منه بحياة الرسول في مجلة العلم، ولكن نماذج البطل عند هبة الدين مختلفة عما هو لدى توماس كارليل، فهي لدى هبة الدين (نبي، إمام، مصلح، قائد)، ولكن يجب ان تتحدد خمس صفات في البطل غير بعيدة في جوهرها عن بنائه الفكري والديني، وأول تلك الصفات هي (البلاغ المبين) مستوحياً تلك الصفة من قوله تعالى:" وما على الرسول إلا البلاغ المبين"، أي الاعلام بحقائق الامور، وفي طليعتها الايمان بالله تعالى، أما الصفة الثانية فهي (الصدق) قولاً وفعلاً بمعنى مصداقية البطل، وهي التي تحدد مكانة وتأثير ذلك البطل في المجتمع، فكلما وثقوا به أيدوه فكراً وعملاً، والعكس صحيح. أما الصفة الثالثة التي يجب أن لا يُحاد عنها فهي (الاستقامة في الفكر) ووضوح الرؤى المنسجمة مع الشرع، أما الرابعة فهي (الحكمة) والرأي السديد، لانها من الركائز الجوهرية للحكم والاصلاح، أما الصفة الخامسة فهي (الذهن المتقد) الذي يحقق الابداع والرقي. أما مصادر السيد هبة الدين في كتابة التاريخ فكانت متنوعة مثل: المصادر الوثائقية، المخطوطات، ورحلاته ومقابلاته الشخصية، وشاهد عيان، والصحف والمجلات، وتشكل المصادر الثلاث الاخيرة مصادره في كتابة الرحلات ومنها رحلته الى الهند[4].

وصف المخطوطة

مخطوطة البندريات للسيد هبة الدين الشهرستاني، مخطوطة جامعة تحوي اجابات شرعية، وتتحدث عن مسائل فقهية، فضلاً عن تناولها بعض الجوانب الفلسفية والتربوية، وفيها معلومات عن رحلته الى الهند، التي تحدث فيها عن مدن وأديان وأعراق الهند، وكذلك العادات والتقاليد والثقافات السائدة في ذلك البلد[5].

---

[1] اسماعيل طه الجابري، المصدر السابق، ص108-112.
[2] المصدر نفسه، ص115
[3] المصدر نفسه، ص117.
[4] اسماعيل طه الجابري، المصدر السابق، ص119-121.
[5] هبة الدين الشهرستاني، رحلة هبة الدين الشهرستاني الى الهند، تحقيق جواد كاظم البيضاني، ط1، بيروت، 2012، ص29-30.

دونت المخطوطة بقلم السيد هبة الدين الشهرستاني، وهي تمثل مذكراته لرحلته التي قام بها الى الهند عام(1330–1331هـ/ 1912–1913م)[1] مروراً بموانئ الخليج لذا أطلق عليها (البندريات – الموانئ او المرافئ)، وتتكون من (469) ورقة فيها بعض الاوراق التي ترتبط بهذه الرحلة والتي تبدأ بالورقة (448)، وقد دونها في نهاية المخطوط تنازلياً حتى ورقة رقم (291)، أما قياس ورقة المخطوطة فهو (20x14)، وعدد الاسطر غير منتظم في الاوراق، فبعضها يحوي(13)، والبعض الاخر (17) سطراً، كما ان المسافات بين تلك الاسطر غير منتظمة بدورها[2].

رحلة هبة الدين الشهرستاني الى الهند عام 1912–1913

لم يكن السفر الى الهند يسيراً أيام تلك الرحلة، وكان يجري بحراً ويستغرق أياماً عديدة، يتم خلالها التوقف في موانئ عدة لأغراض الراحة والصيانة والتزود بالمؤن ثم الانطلاق، وقد قام بها عام 1912 انطلاقاً من بغداد مروراً بالعمارة فالبصرة، لينطلق عن طريق الخليج العربي الى الهند، فمر في رحلته بموانئ الخليج وتوقف فيها وكتب عن مشاهداته، وتتجلى قيمة رحلة الشهرستاني في ملاحظاته التي دونها عن الهند كشاهد عيان، والرحلة ذات أهداف ثقافية إصلاحية أي إنها جرت ضمن مشاريعه التي عرفت عنه ونشاطاته ضمن هذا المجال.

لقد حاول هبة الدين ايجاد سند جديد غاية في الاهمية لإثبات طبيعة أفكاره الاصلاحية، فكان الوقوف على آداب الامم وثقافاتها واديانها وأسرار تقاليدها ضرورياً عن طريق المشاهدة المباشرة، وعدم الاكتفاء بالروايات التي تزيد أو تنقص من الاحداث، فتتسب في ارباك الاحداث وبالتالي قد تؤدي الى بناء آراء وتصورات غير صحيحة، وقد ورد على لسان السيد هبة الدين الشهرستاني ما نصه:" انكشف لي خلال أسفاري من أسرار الديانات نحو الخمسين بالمئة، لكن دعواي هذه على أنها كبيرة إنما تُصدق اذا نشرت تفاصيل رحلتي كما أريد"[3].

وردت رحلة هبة الدين الشهرستاني في مخطوطة (البندريات)[4]، وقد كتب السيد هبة الدين في هذه المخطوطة معلومات جغرافية وتاريخية واجتماعية من خلال نقله صور حية عن المجتمعات التي زارها، وعادات السكان وتقاليدهم ونظمهم الاجتماعية وأحوالهم الاقتصادية ومستوياتهم الثقافية، ووعيهم الديني بلغة النقد البناء، وتكمن أهمية تلك المعلومات في أنها دونت في مطلع القرن العشرين تلك المرحلة المهمة من تاريخ العالم قبيل الحرب العالمية الاولى، والاوضاع التي مرت بها الهند خلال مرحلة شهدت تنافس شديد من قبل القوى الدولية، لذا تحدث عن المكاسب الاقتصادية لبريطانيا والتنافس الالماني–البريطاني، وقد انطلق من موانئ عمان صوب كراتشي على متن الباخرة البريطانية فالتو في (19 صفر 1331هـ/28كانون الثاني 1913)، وكان عمر السيد هبة الدين آنذاك 29 عاماً، وسنقتصر في هذا الجزء من البحث على ذكر تفاصيل رحلته الى الهند والمحطات التي مر بها، كمدن كراتشي وبومباي وكلكتا، وصولاً الى الغرض الاساسي من رحلته المتمثل بلقاء مؤيد الاسلام جلال الدين الحسيني الكاشاني[5]، صاحب جريدة (حبل المتين).

---

[1] نهاية السنة الهجرية 1330، وبداية السنة الهجرية 1331، الموافق لنهاية السنة الميلادية 1912، وبداية السنة الميلادية 1913.(الباحثان)

[2] هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص33-34.

[3] محمد باقر احمد البهادلي، السيد هبة الدين الشهرستاني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية، ط1، بيروت، 2002، ص109.

[4] بندريات، جمع بندر أي موانئ، ويقصد من العنوان الموانئ التي مر بها السيد هبة الدين الشهرستاني.

[5] هو أول من أسس مطبعة في مدينة النجف الاشرف في العراق، بعد ان ارسل المطبعة من مدينة كلكتا إلى أخيه في النجف السيد محمد علي حبل المتين وكانت سابقا في كلكته تطبع فيها مجلة (حبل المتين) الشهيرة والسيد محمد علي هو جد الأسرة العلوية (آل حبل المتين) القاطنة في النجف وبغداد، وقد طبع بها بعض الكتب العربية والفارسية والمجالات والجرائد وأعدادا من مجلة العلم، ومجلة الغري الفارسية، وذلك سنة 1327هـ، وعند وقوع الحرب العالمية الاولى تعطلت المطبعة عن العمل، فبيعت أجزائها، أما لقب الأسرة (حبل المتين) فهو نسبة إلى كتاب (حبل المتين في معجزات أمير المؤمنين) لجدهم السيد مير شمس الدين محمد النقيب. للاطلاع على تفصيلات أكثر يُنظر: محمد هادي الاميني معجم المطبوعات النجفية، ط1، مطبعة الآداب النجف الاشرف، 1966، ص34؛ جاسب عبدالحسين صيهود الخفاجي، الصحافة النجفية بين عامي 1910-1932 دراسة تاريخية، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، المجلد 14، العدد1-2، جامعة القادسية، 2011.

لقد تحدث السيد هبد الدين في رحلته عن مواضيع متنوعة في الهند: مثل نظام البريد الانكليزي، ووصف المدن التي مر بها، وأحوال سكانها معاشياً، واجتماعياً، وثقافياً، ودينياً ومذهبياً، ولم يتطرق الى الاحوال السياسية لاسباب لم يصرح بها[1]، لقد مرَّ السيد هبة الدين بعدة مدن هندية رئيسة عدا دلهي؛ فزار كلكتا، وبومباي، وبونه، وبنارس، وكراتشي، وحيدرآباد.

وكل مدينة من تلك المدن تمتلك ميزة تاريخية خاصة بها ظلت تلقي بظلالها على حاضر تلك المدن ومستقبلها، فمدينة كلكتا مركز اقتصادي وثقافي مهم، وفيها يقع المقر العام لشركة الهند الشرقية الانكليزية[2] (East Indin Company) في الهند، لذا فهي مكان لقاء ثقافات متعددة، أما بومباي فهي من الحواضر الرئيسة في الهند ولها تاريخ عريق يتمثل بوجود أقوى الامبراطوريات الهندية والمتمثلة بإمبراطورية المارثا[3] الهندوسية، فضلاً عن وجود المقر الثاني لشركة الهند الشرقية الانكليزية فيها، فيما تمثل بونا رمزاً للمقاومة الهندوسية ضد امبراطورية المغول الاسلامية(1526–1859)، وبالتالي فهي مدينة ذات مكانة سياسية مميزة لدى الهندوس، أما مدينة بنارس فهي إحدى أقدس مدن الهندوس لما لها من مكانة دينية، أما الميزة الاهم لتلك المدن التي زارها الشهرستاني فتتمثل بانها مدن ذات تعددية كبيرة للأعراق والاديان والمذاهب والثقافات، فضلاً عن أهميتها الثقافية والحضارية في تاريخ الهند، وهنا يتجسد التطبيق العملي لرؤية السيد هبة الدين الشهرستاني في دراسة التاريخ وكتابته وصولاً الى الغرض الاساسي وهو الوقوف على سلبيات وايجابيات تلك المجتمعات، الامر الذي يخدم نزعته الاصلاحية والتجديدية.

دون هبة الدين الشهرستاني رحلته بأسلوب نقدي دقيق، كما إن حديثه من خلال مشاهداته لم يكن مبوباً بشكل موضوعي، فنراه مثلا يتحدث عن موضوع يخص النقل مثلاً، لكنه ينتقل دون أن يكمل الموضوع الى موضوع آخر يخص الصناعة ويعود بعد ذلك لإكمال ما بدأه عن النقل، لذا سعينا الى إيجاد وحدة موضوعية داخل النص الاصلي لتلك المواضيع، وفيما يلي نستعرض أهم المحطات في رحلة السيد هبة الدين الشهرستاني:

---

(1) كانت الهند تمر بظروف سياسية حساسة في تلك المرحلة المشحونة بالاحتقان الديني والعرقي بين المسلمين والهندوس، وخاصة في المناطق المختلطة، فضلا عن السجال السياسي الكبير بين الهنود وبريطانيا، لذا يمكن ان يكون السيد هبة الدين الشهرستاني قد أُحيط سلفاً بطبيعة تلك الاوضاع، فلم يتطرق في رحلته الى الجانب السياسي، فضلا عن خصوصية المدن التي زارها(الباحثان).

(2)ظهرت شركة الهند الشرقية الانكليزية كمنظمة تجاريةوسياسية قوية منذ نشأتها كمؤسسة تجارية صغيرة في لندن عام 1600حيث ساهم وجودها في صياغة التاريخ الحديث لجميع المناطق التي عملت فيها .تقد أسست شركة الهند الشرقية كمشروع تجاري صغير يديره مجموعة من تجار مدينة لندن، والذي وُهب ميثاقًا ملكيًا سنة ١٦٠٠ منح احتكار التجارة الإنكليزية في جميع مناطق آسيا والمحيط الهادئ، اهتمت شركة الهند الشرقية في مستهل أعمالها بالفرص التجارية التي كانت تتيحها لها جزر التوابل في جنوب شرق آسيا وليس الهند. ولكن شحنات الأقمشة الهندية أثارت اهتماماً متزايداً بين المستهلكين في إنكلترا. كما قامت الشركة أيضًا بشحن بضائع صينية من كانتون (قوانتشو) كالشاي والحرير والأقمشة والخزف. وكانت أثمان البضائع الآسيوية تُدفع من من ثمن الأصواف والمعادن البريطانية المُصدّرة، تكملها السبائك الفضية.كانت عمليات الشركة تُدار بنظام "الوكالة"، فعندما تعود السفن إلى أوروبا كان وسطاء يُعرفون باسم "الوكلاء" التجاريين يبقون في محطات تجارية للتفاوض مع التجار المحليين على بيع المخزون الحالي من السلع وشراء البضائع الجديدة لرحلات العودة في السنة التالية، وقد أشرفت على أعمال الشركة إدارة مركزية في لندن مكونة من الأعضاء الأربعة والعشرين المنتخبين من مجلس المديرين وعدد من اللجان المتخصصة التابعة للمجلس. وكان المديرون مسؤولين أمام مساهمي الشركة الذين اجتمعوا بانتظام في مجلس المُلاك العام. لقد أرسلت الشركة تعليمات تجارية وسياسية وإدارية على متن سفنها إلى المجالس التي تم تأسيسها في مستعمراتها الرئيسية في آسيا، وكانت هذه المجالس مسؤولة بدورها عن إدارة الوكالات التابعة لها والتي كان من بينها بندر عباس والبصرة، ثم تطور وضع شركة الهند الشرقية من كونها فقط مؤسسة تجارية عندما اندلعت الحرب بين بريطانيا وفرنسا وطالت الهند في منتصف أربعينيات القرن الثامن عشر. فتفوقت الشركة عسكريًا على الشركات التجارية الأوروبية المنافسة والحكام المحليين، وبلغت ذروة هذا التفوق سنة ١٧٥٧ بسيطرتها على إقليم البنغال.وكان لها ثلاث مراكز رئيسة في كلكتا وبومباي ومدراس، وقد استمرت الشركة في دورها الاستعماري حتى سنة ١٨٥٨ عندما نقل قانون حكومة الهند الصلاحيات الممنوحة لها إلى مكتب الهند التابع لوزارة الخارجية وذلك في أعقاب التمرد العسكري والمدني الذي وقع في شمال شبه القارة الهندية. وتم حلها نهائيًا في الأول من حزيران ١٨٧٤ بعد أن حصل المساهمون على تعويض من البرلمان.للاطلاع على تفصيلات اكثر يُنظر:

F.P.Rob Robinson, The Trade of The East India Company From 1709 To 1813. Cambridge University Press.1912.

(3) إمبراطورية المارثا Marāṭha أو حلف المارثا وتنطق كذلك (مهراتا)، نشأت عام 1674 وفي عام 1818بلغت ذروتها فحكمت معظم جنوب الهند، وشملت أراضيها على أكثر من 2.8 مليون كم2. أسس الإمبراطورية ووحد أراضيها الإمبراطور شيڤاجي بهوصله .وعاصمتها رايجاد، وفي سبيل ذلك خاض معارك ناجحة ضد المغول حتى ينقذ مملكته، وقد امتدت الحروب ضد المغول حوالي 27 عاماً من عام 1681 حتى عام 1707، مما يجعلها أطول حرب في تاريخ الهند، والتي انتهت بانتصار إمبراطورية المارثا. ابتكر شيڤاجي (شيڤاجي سوترا) أو (جانيمي كاڤا) وهي من كتيكات حرب العصابات، والتي كانت تعتمد على عوامل السرعة، المفاجأة، وتركيز الهجوم لتحقيق أكبر هزيمة لقوات العدو. للاطلاع على تفصيلات أكثر يُنظر:

C.A. Kincaid and Rao Bahadur, A History of The Maratha People ,Vol.II, London, 1922.

وصف مدينة كراتشي

وصل هبة الدين الشهرستاني الى مدينة كراتشي الباكستانية، والتي كانت آنذاك جزءاً من الهند قبل تقسيمها عام 1947، في (22صفر 1331هـ/31 كانون الثاني 1913م)، وقد استغرقت الرحلة 11 يوماً من (19 صفر –22 ربيع الاول 1331هـ،/ 27 كانون الثاني– 6 شباط 1913م)، وقد بقي هبة الدين في كراتشي 4 أيام ثم توجه الى بومباي.

تحدث الشهرستاني في هذا الجزء من الرحلة واصفاً مدينة كراتشي، فعدها أول موانئ الهند[1]، وتحدث عن مرافقها العامة وطرقها ووسائل النقل فيها، فضلاً عن اقتصادها، وصناعتها، ومدارسها العلمية الدينية، فعلى سبيل المثال تحدث عن وسائل النقل المتمثلة بعربات الترام التي تحركها قوة البخار على خطوط حديدية، كما إن الطرق تتكون من أربع ممرات أثنين منها ذهاباً وإياباً وهي مخصصة لعربات الترام، والثالث للعربات التي تجرها الحيوانات، والرابع للمشاة، وتوجد في بداية كل طريق لوحات إرشادية لنوع المارة، وهذه الطرق مزودة بالإنارة الليلية، وعرض الشارع الواحد حوالي 30 متراً[2]، وعند كل مفترق طرق توجد حدائق الازهار والرياحين لتعطير الشوارع، كما تنتشر في كراتشي محلات السكن للمسافرين[3]، وتلك المحلات والمسافرخانات مصممة على الطراز الاوربي[4]، وهناك مسافر خانة لغرباء المسلمين مجانية استضافوا السيد هبة الدين فيها، كما وصف السيد هبة الدين المدارس في كراتشي، وأغلبها مدارس لتعليم الدين الاسلامي، وكانت اول مدرسة زارها السيد هي (سند مدرسة إسلام)، وفيها طلاب هنود وعرب وفرس، وهناك مدارس لمختلف الطوائف الاسلامية، أما مدرسة السنة فيديرها شيخ أسمه عبدالله وهي مدرسة قديمة، أما الشيعة فلهم جمعية تسمى (أنجمن[5] أثني عشرية) ورئيسها السيد جهن شاه صاحب، وهو رجل هرم حسن الاخلاق لكنه خرافي، وله أخ شاب متمدن أسمه ملجن شاه صاحب، أما اجتماعات أعضاء الجمعية فتتم عادة في لوكانده عبد الرسول البوشهري[6].

لقد ذكر الشهرستاني معلومات هامة عن كراتشي في تلك الحقبة تمثل مؤهلات جعلتها تكون فيما بعد عاصمة باكستان عام 1947 قبل اسلام آباد.

كما أشار الشهرستاني الى وجود صناعة محلية كالأدوات المنزلية والابواب والشبابيك، فضلا عن الصناعات الخزفية التي تتكون من الطين الممزوج ببرادة الحديد، وكراتشي مدينة تشهد تعددية دينية كبيرة، ففيها الوثنيين، والنصارى، والمسلمين على اختلاف طوائفهم[7].

بين بومباي وكلكتا

ويظهر من العنوان أن المقصد الرئيس لهبة الدين كان كلكتا، أو انها خط نهاية رحلته، وإن بومباي كانت محطة مرور فقط، ورغم ذلك فقد دون ملاحظات مهمة عنها، وقد اتجه هبة الدين الى مدينة بومباي، وفي طريقه مرَّ بمدينة بنكلور[8]، وهي مدينة كبيرة على الساحل الشرقي من الخليج العربي، أما بومباي فقد وصلها في (25 صفر1331هـ/ 12 شباط 1913) بعد يومين من الانطلاق من كراتشي فذكر:" وصلنا ميناء بومباي ظهيرة يوم الاحد (25 صفر 1331هـ/ 2 شباط 1913م)، أذكر هنا كثرة المراكب وتسليحات الانكليز في الجبال والتلال المتوسطة في البحر"[9].

---

(1) هذا الامر طبيعي لان كراتشي آنذاك كانت جزءًا من الهند قبل ان نتفصل عنها باكستان عام 1947، وتصبح دولة مستقلة عاصمتها الاولى كراتشي، لذا لم يشر الشهرستاني اليها بالعاصمة(الباحثان).

(2) هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص 98-99.

(3) المصدر نفسه، ص100.

(4) المصدر نفسه، ص90.

(5) (أنجمن) تعني جمعية (الباحثان).

(6) هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص97.

(7) المصدر نفسه، ص97.

(8) هي عاصمة ولاية كارناتاكا جنوب الهند ضمن هضبة الدكن. للاطلاع على تفصيلات أكثر ينظر: Sarina Singh, South India , india , 2009.

(9) هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص101.

ومن خلال المعلومات التي أوردها هبة الدين يمكن الاستنتاج أن ما رآه كان استعدادات بريطانيا قبل الحرب العالمية الاولى، خاصة وإن القوات التي شاركت في الحرب على جبهات الشرق الاوسط جاءت من الهند، وبالأخص تلك التي أحتلت العراق عام 1914، لذا فمن المحتمل أن هبة الدين رأى القوات التي ستحتل العراق دون ان يعلم بذلك.

ثم ينتقل الى الحديث عن المكونات الاثنية في مومباي فذكر أن أغلب سكانها كانوا من الهندوس ويأتي بعدهم المسلمون، ثم ذكر العدد التقريبي لدور عبادة كلا المكونين فقال بهذا الصدد:" في بومباي سبعمائة مسجد للمسلمين، وعدة الاف معبد للوثنين"[1].

لم يقدم هبة الدين وصفاً لبومباي كما فعل مع كراتشي رغم أنها لا تقل عنها شأناً ومكانةً، لأن بقاءه فيها كان لوقت قليل جداً فلم يتمكن من وصفها.

مع مؤيد الاسلام حبل المتين

بلغ هبة الدين مقصده الرئيس وهو كلكتا والتقى بـ مؤيد الاسلام حبل المتين، الذي كان بصدد إصدار مجلة باللغات العربية والفارسية والبنغالية تحمل عنوان (حبل المتين)، وقد عرض عليه مؤيد الاسلام أن يكون ثلث أرباحها له، مقابل أن يشرف على تحريرها وأن تكون صورة يعبر من خلالها هبه الدين عن أفكاره، فضلاً عن تحمل مؤيد الاسلام كلفة سكنه وباقي نفقات المعيشة[2].

ويبدو أن هبة الدين كان متردداً، فطلب مهلة للتفكير أمدها 3 ليال استشار في الاولى الشيخ إسماعيل الواعظ الزرقاني، وفي الثانية استشار النواب شجعت علي خان[3]، وفي الليلة الثالثة استخار الله سبحانه، فكانت أن يكون له الخيار، أي لا القبول ولا الرفض، وكان قرّاء الجريدة حوالي 13000، منهم 6000 مشترك باللغة الفارسية، و2000 باللغة الهندية، و3000 باللغة البنغالية[4].

هذا يعطينا صورة عن نسبة المتكلمين باللغة الفارسية والهندية والبنغالية في شمال الهند، ومن المعروف أن انتشار لغة معينة هو انتشار لثقافتها وآدابها، ومن الجدير بالذكر أن اللغة الفارسية كانت اللغة الرسمية للإمبراطورية المغولية في الدواوين الحكومية والمدارس والمخاطبات الرسمية.

وقد أشار هبة الدين الى أنه شاهد كتباً ونصوصاً حكومية، وصكوكاً في متحف كلكتا كانت مكتوبة باللغة الفارسية[5]، وهذا يدعم ما ذكرناه آنفاً عن اللغة الفارسية وأهميتها في الهند.

لقد أشار هبة الدين الى الحالة المالية التي كان يمر بها مؤيد الاسلام بقوله:" وكان السيد مؤيد الاسلام آنذاك مديونا بـ30000 روبيه، وهي تساوي كل ما يبيعه، فضلاً عن ذهاب بصره قبل أكثر من سنة، وكبر سنه وبنيته الضعيفة"[6].

---

(1) المصدر نفسه، ص101.

(2) المصدر نفسه، ص102.

(3) قد يكون من سلالة النواب التي حكمت البنغال بشكل مستقل، وانتهت سلطتها السياسية نتيجة للسياسة البريطانية في الهند في بداية القرن العشرين، وهم من العلويين وأخر هؤلاء هو نواب سيد حسن علي ميرزا خان بهادر(1846-1906). وقد حكمت البنغال منذ نهاية القرن السادس الهجري- الثالث عشر الميلادي أكثر من سلالة ومنها: ولاة ينتمون الى الاسر التي حكمت سلطنة دلهي الاسلامية (602-932هـ/1206-1525مـ) التي تتكون من خمس أسر هي: المماليك(602-689هـ/1206-1289مـ)،الخلجيون(689-720هـ/1289-1320مـ)، التغلقيون(720-813هـ/1321-1413مـ)، السادة الخضر خانيون(817-855هـ/1414-1451مـ)، اللوديون(855-932هـ/1451-1525مـ) وكذلك أسر مختلفة أمثال: أسرة إلياس شاه، أسرة راجا كانس، الملوك الاحباش، بنو حسين شاه، أسرة محمد سور، أسرة سليمان كرراني، للاطلاع على تفصيلات اكثر يُنظر:عبد الحسين عباس الاعسم النجفي، الرحلة الاعسمية في الديار الهندية أي الزهور في رامبور، المطبعة الحجازية بالهند، 1346هـ ؛ أحمد السعيد سليمان، معجم الاسر الاسلامية الحاكمة، ط1، بيروت، 2004، ص420-423؛
F. B. Bradley-Birt, Twelve Men of Bengal in The Nineteenth Century, Calcutta, p.241-248.

(4) هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص103.

(5) المصدر نفسه، ص114.

(6) المصدر نفسه، ص103.

وصف مدينة كلكتا

وصف السيد هبة الدين مدينة كلكتا مساحة وموقعاً وسكاناً وأهمية فيذكر:" إن مساحتها 12 ميل، وعرضها 7 ميل[1]، وهي تبعد عن البحر المالح[2] حوالي 90 ميل، لكنها تقع على نهر كبير[3]، أما عدد سكانها فيبلغ 1175000[4]، منهم 45000 مسلم[5].

كما تحدث هبة الدين الشهرستاني عن المطابع في كلكتا، وكثرتها فذكر أن عددها بلغ حوالي 700 مطبعة، يعمل فيها حوالي 10000عامل، كما أشار الى مظهر من مظاهر التطور في الهند وكلكتا، تمثل بانتشار السيارات في شوارعها والتي اطلق عليها أسم(موتيكار)، موتور كار[6].

البريد الانكليزي في بلاد الهند

خلال حديثه عن كلكتا تحدث هبة الدين عن نظام البريد بين مدن الهند، وبين الهند ومناطق أخرى، وإمكانية نقل مختلف الاشياء الى أي مكان كالرسائل والكتب المطبوعة والصحف والامانات وحوالات النقود وغيرها، أما وسيلة نقل البريد الداخلي فهي سكك الحديد، وهناك نوعين من القطارات في الهند، قطارات لنقل البضائع والبريد وقد أطلق عليه هبة الدين أو هكذا يسمونه في الهند (ريل الميل)[7]، بينما اطلق على قطار المسافرين (ريل الاجناس)[8]، والقطار الاول أسرع من الثاني لذلك قيمة نقل الاشياء اكثر من الثاني.[9]

لقد أورد هبة الدين معلومات قيمة ايضاً عن الاوضاع الاقتصادية في كلكتا، بشكل خاص والهند بشكل عام في تلك المرحلة من تاريخ الهند الحديث، ومن خلال حديثه يمكن القول أن نسبة غير قليلة من العاملين بالتجارة في كلكتا كانوا من غير أهلها، فضلاً عن التنوع الذي يشهده هذا القطاع الاقتصادي المهم في الهند، ولا يوجد أجنبي مقيم فيها على نحو دائم حيث قال:" ترى أن أغلب منافعها (كلكتا) تنساب الى الاجنبي كالافرنجي والصيني والايراني والعربي، لأن الأجنبي لا يقصدها إلا للتجارة، وأما أهلها فقسم منهم في إدارات الحكومة وقسم منهم منكبين على المدارس، وقسم تحت أمر التجار، لذا تبقى التجارة سارح عنانها الى الاجانب"[10].

كما تحدث عن أساليب الدعاية التي يتخذها التجار للترويج لتجارتهم، وهي متناقضة بين استخدام الاختراعات الحديثة في العالم آنذاك، والاساليب القديمة الغير مألوفة، وتتجلى قيمة المعلومات التي ذكرها في وجود الطاقة الكهربائية في الهند في تلك المرحلة، وتعدد استعمالاتها، بينما لم تكن موجودة في العراق آنذاك، أي أنه لم يألفها من قبل[11]، وقد أشار هبة الدين الى ذلك بقوله:" وفي كلكتا يتحيل التجار لإعلاناتهم حيلاً مثل غوغاء الاطفال، ومثل القبض والبسط في الانوار الكهربائية المرتبة على شكل الاسماء، ومثل حركة اليد المصنوعة للإشارة إلى الاجناس ومثل الاشكال المختلفة والصور المتحركة والساكنة، ومثل تسيير حمار يجر عربة وعليها

---

(1) تبلغ مساحة كلكتا 185كيلو متر مربع، للاطلاع على تفصيلات أكثر يُنظر:.Joe Bindloss, Northeast India ,India, 2009,P.101

(2) خليج البنغال(الباحثان).

(3) نهر هوغلي Hooghly(الباحثان).

(4) يبدو ان السيد هبة الدين قد استقى معلوماته عن عدد السكان من مصادر رسمية لان الرقم الذي ذكره قريب الى عدد سكان كلكتا عام 1918 حيث بلغ حوالي 11021918نسمة. للاطلاع على تفصيلات أكثر يُنظر: Sovan Chatterjee to be new Kolkata mayor - Hindustan www.hindustantimes.com.

(5) هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص104.

(6) هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص114.

(7) نسبة الى اشهر سلعة تُنقل على متن ذلك القطار آنذاك، وهي صحية ديلي ميل البريطانية Daily Mail(الباحثان).

(8) يبدو أن سبب التسمية قد جاء من نوعية الركاب المتمثلة بالمسافرين من الناس، أو من الحيوانات (الباحثان).

(9) المصدر نفسه، ص108-111.

(10) المصدر نفسه، ص113.

(11) دخلت الكهرباء إلى العراق عام 1917 اذ نصبت اول ماكنة كهرباء في بناية "خان دلة" وقد اقتصر توليد الطاقة الكهربائية على محركات ديزل قدرة واطئة بتوتر220 فولت تيار مستمر .(DC) وقد تم نصب محركات الديزل بعد ذلك في مناطق مختلفة من المدينة منها منطقة السراي لانارة أبنية السراي، والقشلة، وشريعة المجيدية، وكذلك المستشفيات الموجودة في باب المعظم، وفي كرادة مريم، ومعسكر الهنيدي - معسكر الرشيد لاحقاً، وتمت في العام نفسه (1917) إنارة أول شارع في مدينة بغداد (شارع الرشيد) للاطلاع ينظر: تاريخ الكهرباء في العراق، مدونة الاستاذ الدكتور ابراهيم العلاف. http://wwwallafblogspotcom.blogspot.com/2015/05/blog-post

الاعلان، ومثل تسيير رجال بأشكال غريبة وصور ملونة على ألبستهم الاعلانات، ومثل توزيع الاعلان بالمجان وطرحه في الحوانيت وإلصاقه على الدروب، ومثل توزيع أجناس[1] مجانية عليها الاعلانات، ومثل التصويت[2] بالإعلان في المجاميع العمومية"[3].

وفحوى هذا النص هو إن الاعلانات كانت على أشكال متنوعة، بعضها أساليب بدائية، وبعضها الآخر حديث كالإنارة الكهربائية المشكلة على هيئة كف والاصابع من المصابيح تنطفأ وتشتعل، وكذلك على هيئة صور، أو مصابيح على شكل أسماء وكلمات تنطفأ وتشتعل، أو طباعة المنتجات والدعايات على الملابس، وكذلك الاعلانات عن المنتجات في التجمعات العمومية[4].

من المعلومات الهامة التي وردت في رحلة السيد هبة الدين هو حديثه عن السيد جمال الدين الافغاني الذي يشترك هو معه في مجموعة من الخصائص أبرزها نزعة الاصلاح والتجديد، والدعوة الى الوحدة الاسلامية، وكان السيد جمال الدين قد زار الهند قبل السيد هبة الدين وتحديداً عام 1869، وقد زار مدينة كلكتا أيضاً، لذا أهتم هبة الدين بمعرفة نشاطات جمال الدين وأحواله في الهند، وقد حدث السيد جلال الدين صاحب (حبل المتين) هبة الدين عن السيد جمال الدين الافغاني، وكيف ورد على كلكتا من العراق[5]، كما حدثه عن موقفه من الانكليز وأشاد بخطبه وذيوع صيته ومقالاته، وتحريضه الهنود على عداء الانكليز، وكان يلقي الخطب في مدارس كلكتا وجوامعها، فالتف حوله الناس، ثم غادر الى حيدرآباد، وورد على سالار جنك، فلما شعر الاخير بمعارضة جمال الدين للإنكليز أعطاه 4000 روبية وأعتذر عن استضافته حتى أنه أخرجه ليلاً، لان الانكليز كانوا يراقبونه، ثم ألحوا عليه بالخروج من حيدر آباد، فتوجه الى عليكره، وهناك التقى بالسيد أحمد خان[6]، وكان على النقيض تماماً في الفكر والتوجه مع جمال الدين بخصوص العلاقة مع بريطانيا، فكان احمد خان يفضل التعاون مع بريطانيا بدلاً من مواجهتها، لذا اختلفا وافترقا وهما منزعجان من بعضهما البعض، ثم هاجر جمال الدين الى مصر[7]، فالتفت حوله النخبة المثقفة، وكان يُحرض الناس على الانكليز حتى حدثت الثورة ضدهم[8]، فصدر الامر بإخراجه مع محمد عبده فتوجها الى باريس واصدر جريدة العروة الوثقى، ويرى هبة الدين أن جمال الدين كان من همدان في إيران، وقد اتخذ لقب (الافغاني) لسببين أحدهما سياسي والاخر ديني، أما الديني فلأنه كان يدعو الى توحيد المذاهب، وإن المسلمين يجب أن يجتمعوا تحت الجامعة الاسلامية دون أن يتفرقوا بسبب الخلافات المذهبية، ولتحقيق ذلك كان بحاجة الى مساعدة أكبر عدد من المسلمين، أما بقاءه على انتسابه القديم لإيران، فذلك لن يقيده لقلة عدد الايرانيين وارتيابهم منه، لاسيما بعد دعوته الى الجمهورية(النظام الجمهوري)، أما عن انتساب جمال الدين الى الافغان، فيقدم هبة الدين وجهة نظره التي مفادها أن جمال الدين لم

---

[1] عينات من المنتج (الباحثان).
[2] المناداة في الاماكن العمومية والتعريف بالسلعة(الباحثان).
[3] هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص114.
[4] المصدر نفسه، ص114.
[5] ورد جمال الدين الافغاني الهند قادما من افغانستان وليس العراق، وقد غادر أفغانستان نتيجة للمؤامرات التي دبرها الأمير شير علي خان للغدر به، فرأى أن يغادر، فاستأذنه في الحج، فأذن له، لكنه أتجه إلى الهند سنة1869، وكانت شهرته قد سبقته، لما عرف عنه من أفكار وطروحات اصلاحية، فضلا عن دعوته الى الوحدة الاسلامية، ولم يكن يُخفي عداءه لسياسة بريطانيا، وما سيحدثه مجيئه إلى الهند، خاصة وان الهند كانت لا تزال تعيش آثار ثورة عام 1857، فلما وصل استقبله السلطات البريطانية بشكل جيد، ولكنها لم تسمح له بطول الإقامة. للاطلاع على تفصيلات أكثر حول نشاط جمال الدين الافغاني في الهند.يُنظر: جمال الدين الحسيني الافغاني، خاطرات الافغاني، إعداد وتقديم هادي خسروشاهي، تقرير محمد باشا المخزومي، ط1، القاهرة، 2002، ص209-229.
[6] سيد أحمد خان(1817-1898) هو أحد في القرن التاسع عشر الميلادي في الهند، ومؤسس جامعة عليكرة . نشأ في أسرة كان لها اتصال وثيق بالملوك المغول الذين حكموا شبه القارة الهندية قبل الاحتلال البريطاني. ألّف العديد من الكتب، ردّ فيها على بعض المغرضين من المستشرقين، ودعي من خلالها إلى تجديد الفكر الإسلامي، وله آراء تفرد بها. وتثير بعض أفكاره الحرة واجتهاداته الجريئة الجدل حتى يومنا هذا بين مؤيّد ومكفّر. وبصفة عامة فقد إتسمت نظرته للدين بالتسامح واليسر وعمق النظر. تأثر به مفكرون مسلمون كبار من أمثال المصلح الإسلامي سيد أمير علي، والفيلسوف الشاعر محمد إقبال، والمجدد فضل الرحمن، لقد أمضى سيد احمد خان الاربعين عاماً الاولى من عمره في جهد لا ينقطع من أجل نشر أفكاره التعليمية والادبية، وفي خلال هذه الاعوام عاصر أحداثاً جساماً وقعت في الهند كان لها أثر عميق في تشكيل مجرى حياته، كالثورة الهندية عام 1857. وغيرها.للاطلاع على تفصيلات أكثر ينظر: خليل عبدالحميد عبدالعال، جوانب من التراث الهندي الاسلامي الحديث، ط1، جامعة الاسكندرية، 1979، ص145-187.
[7] هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص117.
[8] ثورة أحمد عرابي عام 1881-1882 ضد الخديوي توفيق والتدخل الاجنبي وسميت آنذاك (هوجة عرابي)، ومن أهم أسبابها سياسة التمييز بين الضباط الاتراك والضباط المصريين وماترتب على ذلك من ظلم لحق بالضباط المصريين، للاطلاع على تفصيلات اكثر يُنظر: عمر عبدالعزيز عمر، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517-1952، ط1، الاسكندرية، 1989، ص253-327؛ توماس أدوارد لورنس، ثورة في الصحراء (مذكرات حول الثورة العربية)، دراسة وتحرير احمد ايبش، ط1، ابوظبي، 2013.

يتخذ صفة أو هوية قريبة الى الغرب أو الهنود أو الاتراك، لان ملامح الافغان ولهجتهم أقرب الى ملامح وصفات ولهجة العجم منهم الى العرب أو الاتراك، لذا أضطر الى الانتساب الى الافغان الذين فيهم صفات العجم، وكي يكون أقرب الى قلوب المسلمين وقد وافقه حبل المتين في ذلك الرأي[1].

كما يورد الشهرستاني سبباً آخر في اتخاذ جمال الدين ذلك اللقب نقلاً عن حبل المتين، وهو سبب سياسي تمثل بأن جمال الدين كان ناقداً للحكومتين الايرانية والعثمانية، فكان يخشى من أن يقع في قبضة رجال تلك الدولتين، فأظهر الانتساب الى الافغان حتى ينجو من الاخطار السياسية، إذ أن الافغان ليس لهم قناصل في البلاد (الدولة القاجارية في ايران والدولة العثمانية)، ولم يكن رعياها يومئذ تحت حماية الانكليز في الممالك الاجنبية، والدليل على ذلك عند صاحب حبل المتين، كما يذكر هو إتهام جمال الدين بأنه وراء مقتل ناصر الدين شاه[2]، بعد أن كان يحرض الناس عليه، وقد طلب ناظر خارجية ايران علاء الملك من الدولة العثمانية تسليم جمال الدين الذي كان متواجداً آنذاك فيها، وقد ادعى علاء الملك أن جمال الدين همداني الاصل وأبوه فلان بن فلان وهو مقيد في دفتر قرى همدان، وكذلك موجود في دفتر الدولة الايرانية، ولكن السلطان عبد الحميد رفض تسليمه، وهذا دليل على نجاح خطة جمال الدين في التستر على هويته الحقيقية، ولكن ربيع العلاقات الطيبة بين عبدالحميد وجمال الدين لم يستمر بسبب الوشاة في البلاط العثماني الذين خوفوا عبدالحميد من أن يتأمر جمال الدين على قتله كما فعل مع ناصر الدين شاه[3].

يخلص هبة الدين إلى القول في تعليق أخير حول هوية جمال الدين الافغاني:" أقول فيا سوء حظ هذه الامة الجاهلة أنظروا الى جمال الدين الذي كانت ايران تقذفه من بطنها الى الخارج ولا تأويه، وكان الايرانيون يستثقلون من نسبته إليهم وكانوا لا يقبلونه، تراهم اليوم يتجشمون إثبات إيرانيته والناس لا يرضون ذلك لهم، لأنه أشتهر بالأفغاني الذي أخفى هويته لأهداف يرى في ذلك تحقيقها، والايرانيون يرفضون انتسابه اليهم، كيف جعل منه التاريخ شخصية يسعى الايرانيون إثبات انتسابه اليهم، لكن الآراء المضادة لذلك السعي كثيرة، لان الذي شاع عن جمال الدين أنه (افغاني)، ومن ذا يردع الجمهور في المشهور إلى غيره"[4].

تشكل المعلومات التي أوردها هبة الدين عن جانب مهم من حياة الافغاني، والتي لولا سفره الى الهند لما حصل عليها، فلا يمكن الاستغناء عنها عند الحديث عن شخصية جمال الدين، وكذلك يتبين لنا من خلال ما أورده هبة الدين عن هوية الافغاني طبيعة العلاقات التي كانت سائدة بين الدولة العثمانية والدولة القاجارية في ايران في تلك المرحلة المهمة من تاريخ الدولتين.

معلوماتي عن والد صاحب البلاغ

ينتقل هبة الدين في هذا الجزء من المخطوطة الى الحديث عن ميرزا باقر والد صاحب البلاغ، وقد ذكر أنه استقى معلوماته تلك من موقر الدولة الشيرازي حاكم بوشهر ومن السيد عبدالله البلادي[5] عالم بوشهر. وقد ذكر ما نصه: "إن ميرزا باقر اشتهر بالعلم الغزير، وكان يجيد اللغة الانكليزية ويكتب مدافعاً عن الاسلام، فكتب رسالة بالإنكليزية عنوانها (سندراف محمد) أي (برق من محمد)، ذكر فيها بعض محاسن الاسلام، مما أثار عداء القساوسة المسيحيين، فنسبوا إليه قوله أن الانكليز مسوخ وكان آبائهم كلاباً لأن عنصر الانكليز من (السكسون) وأصل السكسون (سك سان) ومعناها باللغة الفارسية (شبيه الكلب)، فنقم عليه الانكليز وكادت المحكمة

(1) هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص119.

(2) أُغتيل ناصر الدين الشاه بينما كان متواجداً في احدى زوايا مرقد شاه عبدالعظيم جنوب طهران، في 1آيار1896.للاطلاع على اوضاع ايران السياسية في تلك المرحلة يُنظر: حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ ايران السياسي، المجلد 3، ط1، بيروت، 2008، ص248-260.

(3) هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص121.

(4) المصدر نفسه، ص 122.

(5) السيد عبد الله بن أبي القاسم بن عبد الله الموسوي البلادي (1291-1372هـ/1291-1952.م) هو رجل دين ونسَّابة من أصل عربي بحراني تعود أصوله لقرية بلاد، لذا يُقال له البلادي، أما ولادته فكانت بمدينة النجف، وقد التقى بجمال الدين الافغاني في الثانية عشرة من عمره، وقد درس جانب دراسته الدينية اللغة الإنكليزية والطب وعلم النجوم والهيئة. كما درس سنين عديدة في النجف وحضر دروس المستويات العليا سنين عديدة عند الآخوند الخراساني ومحمد كاظم الطباطبائي اليزدي، ونال درجة الإجتهاد سنة(1324هـ/1906م)، أما وفاته فكانت في (الثالث والعشرين من محرم 1372هـ/الثاني عشر من تشرين الاول 1952م) إثر سكتة قلبية. للاطلاع على تفصيلات أكثر يُنظر: سلم النويدري، أعلام الثقافة الاسلامية في البحرين خلال 14 قرناً، ط2، ج2، 2015، ص99.

أن تحكم عليه لولا شهادة البعض أنه يصاب أحياناً بنوبات جنون، وكان يقول أنه يحب أن يسمي أبناءه على أسماء الانبياء فكان له محمد ويحيى واسماعيل، وكان يجد في ترويج الاسلام في لندن، وكان محبوباً من قبل الانكليز لحسن لهجته الانكليزية وغزارة علمه في العلوم الشرقية (التاريخ والادب والشريعة)، وكان ينفق أمواله التي يكسبها في طباعة منشور يبين أفكاره وكان يوزعه مجاناً، وكان كثير الزهد والتقشف في مأكله وملبسه وسائر مظاهر حياته"[1].

وقبيل مغادرته كلكتا الى باتنا تلقى هبة الدين عن طريق مؤيد الاسلام مع السهروردي ومحمد كاظم الشيرازي دعوة موجهة من قبل نائب وزير العلوم البنغالي ارش توش مكرجي، وحصل اللقاء يوم 11نيسان 1913، وقد دُعي الى ذلك اللقاء مجموعة من الاعيان والشخصيات السياسية، مثل قنصل ايران في كلكتا مفتاح السلطنة، وقد ألقى بعض الشبان خطبة في فوائد انتشار اللغة الفارسية في الهند، ويبدو أن هناك مشكلة تواجهها الجالية الايرانية في البنغال تمثلت بعدم وجود مدارس خاصة بهم، لذا تدخل هبة الدين فوافق نائب الوزير على جلب عدد مناسب من المعلمين الايرانيين[2].

غادر هبة الدين مدينة كلكتا يوم 13 نيسان 1913، فوصل الى بلدة شيخبور الساعة الثامنة من ليلة الاثنين وقد استقبله النواب سيد علي قاسم خان، وفي صباح الثلاثاء 14نيسان 1913 ألقى هبة الدين خطبة باللغة الفارسية[3] في دار شاه بنده حسين عن القران الكريم ووجوب تعظيمه، ثم يذكر معلومات مهمة عن المسلمين في شيخبور، فذكر أن عدد المسلمين فيها حوالي 5000، ولهم مساجد عدة، أما باقي سكان المدينة فكانوا من الوثنيين ولهم معبد واحد فقط، ويدير شؤون المسلمين في شيخبور فدا حسين خان، وحالهم أفضل من باقي مكونات البلدة لانهم من النواب[4]، الذين كانوا رؤساء في تلك الانحاء، كما أمَّ هبة الدين المصلين في صلاة الجمعة في شيخبور، وأقتدى به المسلمون هناك، وقد ألقى خطبة عن فوائد صلاة الجمعة وأهمية الوحدة الاسلامية والالفة، وكانت هذه أول جمعة يصلي فيها هبة الدين إماماً في الهند، ومن خطواته الهامة في الهند تأسيسه جمعية (أخوان الاسلام) في (13جمادي الاول1331هـ/ 15حزيران 1913) في دار غلام رضا خان[5].

وهناك قرية أخرى يتواجد فيها المسلمون من مختلف الطوائف ويعيشون بمودة وتآلف هي قرية حسين آباد التي تبعد حوالي فرسخ عن شيخبور، وعدد سكانها حوالي 200 نسمة[6]، وفي 20 نيسان 1913 وصل هبة الدين الى باتنا فاستضافه السيد محمد عباس المشهور بـ(أبي صاحب)، ثم أورد هبة الدين معلومات عن المسلمين في باتنا فتحدث عن علمائهم ومساجدهم، ولم يذكر شيئاً عن عددهم، وقد ذكر أن لهم 4 مساجد أبرزها (بهلوي مسجد)، و(هولبات نواب)، ومن أبرز علمائهم في تلك المدينة سيد عالم حسين، وسيد سبط حسين، وخلال تواجده في باتنا جمع هبة الدين معلومات جيدة عن النواب(نواب البنغال)، ومكانتهم الاجتماعية في تلك الانحاء، وذكر بعضاً منهم كـ:باشا نواب خان، ثم ألطاف خان، ثم أبي صاحب، ثم ابراهيم خان، ثم علي خان. وقد أورد معلومات مهمة عن النواب أبي صاحب تفيد في ترجمته، إذ لاتوجد ترجمة باللغة العربية عن نواب البنغال، وقد قال:" أبو صاحب كهل له نحو اربعين سنة عاقل جداً ذو معرفة بالعلوم الدينية مفكر إخباري المسلك عارف بأحوال العلماء متفانٍ في حبي يقلد الميرزا محمد تقي

---

[1] هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص123-124.
[2] المصدر نفسه، ص126.
[3] كانت اللغة الفارسية منتشرة بشكل كبير في الهند، لذا تحدث هبة الدين بها(الباحثان).
[4] (النواب) Nawab: لفظ واحد تشترك فيه اللغتان الأوردية والعربية، ففي لغة الاوردو هو (لقب) وعنوان تشريفي-سياسي يُمنح من قبل الامبراطور المغولي للحكام المسلمين شبه المستقلين تحت مظلة الامبراطورية المغولية، وكذلك على كبار ملاكي الاراضي من المسلمين، وقد اقتبسته اللغة الاوردية من الفارسية التي أخذتها بدورها عن اللفظة العربية (النائب) وتأتي بصيغة الجمع للتشريف، وتطلق على الأمراء المسلمين، أو كبار الحكام المسلمين من ملاكي الأراضي في الهند في شمال الهند، أما في جنوبها فيستخدم لفظ (ناظم) أو (نظام) وتعني (الضابط الكبير) وهذا اللقب خاص بحكام الدكن من المسلمين، أما لفظ (النواب) في اللغة العربية فمأخوذ من (الناب) ويعني (السيد المدافع عن قومه)، وليس له أي بعد سياسي، وبهذا تكون لفظة (النواب) باللغة الأوردية بعيدة كل البعد عن مثيلتها العربية، للاطلاع على تفصيلات أكثر يُنظر: حمزة بن الحسن الأصفهاني، الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية، دراسة وتحقيق عايد جدوع، مخطوط قيد النشر، ورقة 108.
[5] هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص125-127.
[6] المصدر نفسه، ص127.

الشيرازي[1]، يرده في الشهر نحو 400 روبية وهو متول حسينية جدته بندي بيكم وكذلك باقي أملاكها، والحسينية كبيرة كجنينة وفيها حجر لنزول المسافرين ويطعمون من الوقف وبجنبها مسجد يعطى لمن يصلي فيه[2] في الشهر 50روبية، وأبو صاحب رجل متدين جداً ملازم للصلوات في أول وقتها وكان يُحي المناسبات الدينية فيها بانتظام ".

في بنارس[3]

يتحدث هبة الدين الشهرستاني في هذا الجزء من رحلته عن مدينة مهمة لدى الهندوس من الناحيتين الدينية والتاريخية، وقد وصلها يوم الثلاثاء (28جمادي الاول 1331هـ/ 1تموز 1913) وعند وصوله استقبله وفد من طلبة المدرسة الايمانية، حتى وصل الى دار السيد مولوي علي جواد المطلة على نهر الغانج الذي سبق وان استقبله في كلكتا، وقد تحدث هبة الدين عن اهمية بنارس الدينية لدى الهندوس، فتحدث عن معابدها، وآلهة الهندوس، وقد ذكر أن عدد المعابد لا يحصى، وأن عدد سكانها حوالي 7000000، منهم حوالي 100000مسلم،، أما مساجد المسلمين فكانت كثيرة، ولكن ليس كمثل عدد معابد الهندوس، ويعود الفضل في بناء مساجد المسلمين في بنارس الى الامبراطور المغولي عالمكير[4]، كما تحدث عن النهرين المقدسين لدى الهندوس في الهند بشكل عام وهما: الغانج[5] وجمنا[6]، وفي بنارس بشكل خاص، أما النهر الاول فيقع في نهاية مدينة بنارس، فيما الثاني ينبع من الجنوب أو الشرق الى الشمال أو الغرب حتى ينتهي الى البحر الهندي[7]. وذكر لنا أن أكبر أوثان بنارس هو (كوبال منديل) ومن بعده (مان منديل)، أما أكبر سدنة أوثانهم فهو راجا بربودال، ويقصد هذه الاوثان كبار الشخصيات الهندوسية وغيرهم من عامة الناس ليقَبلوا أقدام تلك الاوثان، ولا يسمح لهم بذلك إلا إذا قدموا أموالا تتناسب وشؤونهم، وربما قدموا له 50000روبية بل 100000روبية لتقبيل احدى قدمي الوثن،

---

(1) هو نفسه صاحب فتوى ثورة العشرين في العراق عام 1920 ضد الاحتلال البريطاني(الباحثان).

(2) يقصد الامام الذي يؤم المصلين.

(3) بنارس وتعرف أيضاً باسم فراناسي وكاشي وهي مشتقة من كلمة (كاشا)، وتعني (المضيئة)، هي مدينة تقع على ضفاف نهر الغانج في ولاية أوتار براديش، وتبعد حوالي 320كم إلى الجنوب الشرقي من عاصمة الولاية لكنو، ويُنظر إليها باعتبارها مدينة مقدسة من قبل الهندوس والبوذيين والجانيين. وهي واحدة من أقدم المدن المسكونة باستمرار في العالم منذ القدم، ويعتقد الهندوس أن الموت في فاراناسي سيجلب الخلاص للشخص، لذا يلجأ الكثيرون اليها لقضاء ما تبقى من حياتهم كون الموت على ارضها سيجلب الخلاص لأرواحهم، وترتبط ثقافة بنارس ارتباطًا وثيقًا بنهر الغانج وأهميته الدينية. كما كانت المدينة مركزاً ثقافياً ودينياً في شمال الهند لعدة آلاف من السنين. وقد ألقى بوذا خطبته الأولى في سارناث التي تقع بالقرب من فاراناسي مما جعلها مقدسة لدى البوذيين، ويشير الناس غالبًا إلى بنارس بأسماء عدوة مثل: (مدينة المعابد)، و(مدينة الهند المقدسة)، و(العاصمة الدينية للهند)، و(مدينة الأضواء)، و(مدينة التعلم)، و(أقدم مدينة سكنها الانسان على الأرض).للاطلاع على تفصيلات اكثر يُنظر:.Sandria B. Freitag , Culture and Power in Banaras,u.s.a,1989

(4) لم يذكر أسمه الكامل، لان هنالك امبراطورين حملا نفس اللقب هما: محي الدين اورنكزيب عالمكير الاول(1659-1707) ابن الامبراطور شاه جهان(1628-1658)، والثاني عز الدين عالمكير الثاني (1754-1759) ابن الامبراطور احمد شاه بهادر(1747-1754).للاطلاع على تفصيلات أكثر يُنظر: أحمد السعيد سليمان، المصدر السابق، ص439-446.

(5) هو أحد أكبر أنهار شبه القارة الهندية .يجري باتجاه الشرق مخترقاً سهل الغانج، في شمال الهند وينتهي في بنغلاديش .يبلغ طوله حوالي 2510 كيلومتراً، وينبع من جبال الهيمالايا الغربية في ولاية أوتاراخند الهندية وينتهي بدلتا مليئة بالغابات قرب مصبه في خليج البنغال .تبلغ مساحة حوض النهر حوالي 907.000 كم2. وينظر الهندوس إلى نهر الغانغ باعتباره نهراً مقدساً ويعبدون إلهاً يمثله هو الإله (غانغا). وقد تمتع نهر الغانج بأهمية تاريخية سببها وقوع العديد من عواصم الهند الإقليمية أو الإمبراطورية على ضفافه (باتاليبوترا، وكنوج، وكارا، والله أباد، ومرشد أباد، وكلكتا)، وقد أعلنت الهند نهر الغانج نهرها القومي، ومن حيث الطول هو الخامس عشر في آسيا والتاسع والثلاثون عالمياً، ينبع من جبال الهملايا ومصبه الأخير في خليج البنغال. وتقول إحدى الأساطير أن نهر الغانج يمثل ملحمة رامايانا التي حدثت في حدود عام 1500ق.م، حيث كان يمضي اليوغانيون حياتهم على شواطئ النهر، يمارسون اليوغا والتأمل، بهدف الوصول إلى المعرفة العليا. وتضيف الأسطورة أن هؤلاء كانوا يتعرضون لضغوطات من الشياطين التي تخرج من مياه المحيط، وتشوش أفكارهم، لذا ارتأى أحد النساك أن يبتلع المياه للتخلص من الشياطين. لكن العلاج لم يكن شافياً، إذ بدأ الدواء أسوأ من الداء فتبددت الغيوم في السماء، وانقطعت الأمطار، وتروي الأسطورة أيضاً أن الجفاف غزا الحقول فجردها، وأحرقت الشمس اللاهبة التربة، فأقام اليوغانيون الصلوات من جديد كي تعود المياه لتروي عطش الأرض، لكن الآلهة، حسبما تقول الأسطورة لم توافق على طلبهم فبقي الوضع على حاله، عندئذ عزم الملك (بهاثيمرات) على التضرع إلى الخالق نفسه علّه يستجيب إلى ندائه، ومن أجل بلوغ أمنيته مر الملك بحالة تقشف قاسية استمرت إلف عام حتى حقق (الخالق له ما أراد) كما أن هناك أساطير قديمة أيضاً تؤكد أن منابع النهر لا يمكن أن يصل إليها الناس بيسر وسهولة، لأنها بعيدة جداً في أعالي قمم جبال الهملايا..للاطلاع على تفصيلات أكثر يُنظر:
Sarina Singh with others,India, first published, india ,2009.

(6) نهر جمنا هو ثاني أكبر نهر في بنغلاديش واحد أكبر الأنهار في العالم، يتدفق عبر التبت والصين والهند وبنغلاديش .وينبع من النهر الجليدي تشيمايونغ-دونغ، وفي الهند يتدفق عبر ولاية البنغال الغربية الهندية وهو واحد من الأنهار الرئيسية في شمال بارغاناس .حتى القرن السابع عشر، نشأ نهر جمنا جنباً إلى جنب مع نهر ساراسواتي، على طول الحدود الشمالية لمدينة كالياني.للاطلاع يُنظر:
Joe Bindloss, Northeast India, first published,2007.

(7) خليج البنغال(الباحثان).

ويذكر هبة الدين أن أولئك الكهنة قد شرعوا على عامة الناس طقوساً كثيرة من الاموال تهدى الى وثنهم الاكبر[1]، ومن المعلومات الهامة التي أوردها هبة الدين الشهرستاني ما يتعلق بطقوس الديانة الهندوسية[2] الخاصة بالعبادة وحرق الموتى، وتكتسب هذه المعلومات قيمتها من كونه أول عراقي يطلع على تلك الطقوس ويكتب عنها في تاريخ الهند الحديث.

لم يكتف هبة الدين بتدوين مشاهداته، بل قام بزيارة أحد معابد الهندوس وهو معبد بشي شرنات وقد وصفه لنا قائلاً:"فيه قبة عظيمة من الذهب الخالص قد ألبسوا ظاهر القبة بصفاح من ذهب مسمرة بمسامير من ذهب وليس مطلياً به، وعليها علم من الذهب المحض بلا تجويف وغلظ العامود يشبه ساق الفرس وأما الاصنام الذهبية المرصعة بالجواهر فقد كانت كثيرة وافرة، وهناك ثور كبير من الرخام مزين بأنواع الزينة والهنود يطوفون حوله منهم من يتبرك به، ومنهم من يقلده قلائد الورد ومنهم من يضع بين يديه المأكول والمشروب والثور هامد جامد لا يملك لنفسه حياةً ولا حراكاً، ويقال إن عالمكير أحد ملوك مسلمي الهند ضرب بسيفه عنق ذلك الثور فبراه كغصن رطب بضربة واحدة "، ويضيف هبة الدين أن عالمكير قد بنى قرب كل معبد مسجداً للمسلمين، ومن أبرز تلك المساجد مسجد تريره المطل على نهر الغانج الذي وصفه الشهرستاني بأنه من أكبر المعابد في بنارس وإن من يعتلي مناراته يطل على كل المدينة، والى جانب ذلك المسجد هيكل لوثن كبير فيه سريران مفروشان بالمسامير الحادة ينام عليها أناس مرتاضون دون ان تؤثر فيهم تلك المسامير[3].

يواصل السيد هبة الدين وصفه المدينة فيذكر أن الاوثان الحجرية والخزفية والمعدنية بشكل كبير، أما الابنية المشرفة على النهر فجميعها إلا ماندر معابد وهياكل ومغتسلات، ويشير السيد هبة الدين الى كيفية طقوس العبادة في بنارس بقوله:"ومن يركب السفينة يرى على ضفاف نهر كنك (الغانج) ألوفاً من البراهمة الوثنيين جالسين قرب ماء النهر يتلون الاذكار على هيئات مخصوصة رجالاً ونساءً، وفيهم نساك يقبضون على أفواه أنفسهم وأنوفهم يحبسون أنفاسهم في صدورهم، ولقد وقفت عند أحدهم خمس دقائق فلم أر منه تنفساً ولاحراكاً"، كما وصف أشكال الاوثان، فذكر الشكل الاول المتمثل بالبقرة الرابضة عن باب كل معبد وهي مصنوعة من الرخام أو الحديد، أما الشكل الثاني فهو (مهاديو) وهو شاب قوي الجثة له أربع أذرع ويتلون عنه قصص خرافية، وأما الشكل الثالث فهو (مهاديوجي) وهو أبن مهاديو، وله أنف كخرطوم الفيل وستة أيدي والقصص عنه أغرب من أبيه، ثم الشكل الرابع المتمثل بالقرد (هانومان جي)، ثم الشكل الخامس وهو (بودا) وتعني العقل[4].

ويذكر السيد هبة الدين مزيداً من الادلة على مكانة بنارس لدى الهندوس عند حديثه عن عبادة الهندوس قائلاً:" الوثني(الهندوسي) في شرق الارض وغربها اذا شاخ وقرب موته يهاجر الى بنارس ويبقى في معابدها كي يموت هناك فيحرق بباب الاصنام، وطيلة وجوده في هذا المكان فإنه يدأب على الصلاة والتأمل والاغتسال بماء الغانج، ويطلق على المنقطع في بنارس لموته (كاشي باش) أي (الباقي في كاشي)، وكاشي أسم لمدينة بنارس، ولان الهندوس يحجون الى زيارة هياكل بنارس، ويرسلون الهدايا والنذور اليها، ولأنهم يقدسون ماء بنارس فإنهم لا يستعملونه حتى لازالة الاوساخ، وعند عودتهم يأخذون معهم من ماء بنارس قارورات ويمزجونه بماء غسلهم في بيوتهم للتبرك والاستشفاء، كما يتبركون بتراب بنارس ويستنشقونه، ويعظمون سكانها، حتى وإن كانوا من غير ملتهم، وأقدس رجل عند الهندوس هو أكبر خدم هيكلهم وصنمهم الكبير في بنارس، وتخضع له جميع أكابر الوهندوس وراجاتهم[5].

---

[1] هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص132.
[2] للاطلاع على تفصيلات اكثر عن الديانة الهندوسية يُنظر: سوامي نيخيلاناندا، الهندوسية تحضيرها لانبعاث الروح، ترجمة نبيل محسن، ط1، سوريا، 2000؛ محمد ضياء الرحمن الاعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية واديان الهند، ط2، 2003.
[3] هبة الدين الشهرستاني، المصدر السابق، ص136.
[4] المصدر نفسه، ص136-137.
[5] المصدر نفسه، ص138.

ولغرض التعرف أكثر عن ديانة الهندوس قام السيد هبة الدين بزيارة أخرى الى أحد المعابد الهندوسية المهمة في بنارس، وهو معبد كوبال مندر، ولكن سُمح له بدخول ساحة المعبد الخارجية فقط دون المكان الذي يوجد فيه الصنم، لان ذلك محرم على كل مسلم[1].

حرق الموتى

في هذا الجزء من رحلته وصف لنا السيد هبة الدين الشهرستاني طقساً مهماً من طقوس الهندوس، ألا وهو حرق الموتى، وكان هبة الدين متواجداً على ضفاف نهر الغانج الذي يحرق فيه الاموات، فوصف ما رآه بـ(المشاهد الفضيعة والبشعة)، ويقع ذلك المكان مشرفاً على النهر من جانبه الغربي، وفيه ضفاف ودكات مخصصة لأموات كل طبقة اجتماعية، وهم مختلفون حتى بالمادة المستعملة في الحرق، فأموات الطبقة العليا من المجتمع الهندوسي[2] يتم حرقهم باستعمال خشب الصندل، ويؤتى بالميت أولاً فينزلونه الى النهر ويغمرون نصف جسده تقريباً في الماء، وتعرف جنائز الرجال بأن لون أكفانها أبيض، أما جنائز النساء فأكفانها حمر، ويكفن الغني بقطعة ثمينة من قماش البريسم، فاذا أنزلوا الميت في النهر عمدوا الى ضفة من الضفاف ويمهدون له مضجعاً من الخشب والحطب لكي يحرقوه، وربما صار علو مهاده من الارض نحو متر من كثرة الخشب ثم يصبون الزيت على الحطب، ثم يرجعون الى الميت ويقوم اثنان عند رأسه يحلون أزرار كفنه الى صدره ثم يغرفون بأيديهم من ماء النهر ويلقون على الماء أوراداً وأذكارا ثم يصبوه على وجه الميت وعلى صدره وفي أنفه وأذنيه وفي فمه عدة مرات، ثم يشدون الكفن ويأتون به الى مضجعه وبطن قدميه نحو النهر، أي يوضع مستقبلا النهر، ويضعون عليه الحطب، ويبدأ الحرق من يرثه، فيحلق لحيته وشاربيه ويتنظف ثم يحمل النار بيده اليمنى ويطوف بها أولا حول الميت ثلاث مرات مبتدأ من عند رأسه وهو يبكي حزناً عليه، ثم يبدأ بإضرام الحطب من عند رجلي الميت، وهناك بعض الاشخاص الذين يحملون بأيديهم العواميد يضربون على عظام الميت المحترق، حتى تنفصل وتحترق بسرعة ولاسيما الجمجمة فإنهم يكثرون من الضرب عليها حتى تتكسر وتحترق، والميت عندهم يحمل على أعواد يثبتونه عليها بالحبال قدماه نحو الامام ورأسه نحو الوراء، بعكس المسلمين، ويردد حاملي ذلك الميت عبارة (رام[3] نام سبمامه).

في مدينة الله آباد[4]

لم يذكر السيد هبة الدين الشهرستاني متى وصل الى هذه المدينة، ولم يذكر معلومات بشكل مفصل مثلما ذكره عن باقي المدن في مختلف أجزاء الرحلة، فأشار الى عدد المسلمين في المدينة بانه 3000، وفي نواحيها حوالي 1500، ثم غادر الله اباد قاصداً مدينة لكنو[5]، لكنه لم يكمل حديثه وتوقف هنا لأسباب غير معروفة.

---

(1) المصدر نفسه، ص139.

(2) البراهمة والكشتريا(الباحثان).

(3) رام أو راما أحد الشخصيات المقدسة لدى الهندوس وهو بطل ملحمة الرامايانا الشهيرة، للاطلاع على تفصيلات أكثر ينظر: Devdutt Pattanaik, The Book of Ram, Newdelhi,2008.

(4) وهو أسم فارسي يعني "مدينة الله" وتعرف أيضاً باسم براباغ، هي إحدى مدن ولاية أوتار براديش التي تقع في شمال الهند، وهي المركز الإداري لمقاطعة الله أباد .ويعدها الهندوس مدينة مقدسة و يعتقدون أن براهما قدم في هذه المدينة أول ضحية بعد أن خلق العالم. وتعد المدينة واحدة من أربع مقاصد يحج إليها الهندوس خلال الشعائر المسماة كومبه ميلا، أما المدن الثلاث الأخرى هي هارديوا Haridwa، وأوجان Ujjain، وناشيك Nashik، وتستمد مدينة الله أباد أهميتها في التراث الهندوسي من وقوعها عند التقاء نهرين مقدسين هما الغانج وجمنا، وينتمي الى مدينة الله أباد 7 من رؤساء وزراء الهند الأربعة عشرة، وهم جواهر لال نهرو، ولال بهادور شاستري، وأنديرا غاندي، وراجيف غاندي، وغولزاريلال ناندا، وفيشواناث براتاب سينغ، وتشاندرا سيخار سينغ، الذين ولدوا في الله أباد، أو تخرجوا في جامعة الله أباد، أو انتخبوا ممثلين عن دوائر انتخابية في الله أباد. للاطلاع على تفصيلات أكثر يُنظر: Sarina Singh with others ,India, first published, india ,2009.

(5) لكنو او لكنهو Lucknowعاصمة اقليم اوتربراديش شمال الهند، وقديماً كانت عاصمة لمملكة أوده الهندية الاسلامية(1722-1859)، تحضى هذه المدينة بمكانة مرموقة في تاريخ الهند السياسي والثقافي، إذ تسمى (مدينة التاريخ)، وهي من أهم المراكز العلمية الاسلامية، وتنتشر فيها عشرات المدارس الدينية، كما تنشر فيها عشرات المقامات الدينية التي تمثل اضرحة اهل البيت(عليهم السلام)، وقد بناها نواب أوده الذين حكموا من عام 1722 حتى عام 1859 عندما قضت بريطانيا على دولتهم لمشاركتهم في الثورة الهندية ضدهاعام 1857.للاطلاع على تفصيلات أكثر يُنظر: Ravi Bhatt, The Life and Time of Nawabs of Lucknow, india,2011.

المصادر

أولاً: المخطوطات

1- حمزة بن الحسن الأصفهاني، الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية، دراسة وتحقيق عايد جدوع، مخطوط قيد النشر.

ثانياً: الكتب العربية

1- أحمد السعيد سلمان، معجم الاسر الاسلامية الحاكمة، ط1، بيروت، 2004.
2- إسماعيل طه الجابري، هبة الدين الشهرستاني منهجه في الاصلاح والتجديد في كتابة التاريخ، ط1، بغداد، 2008.
3- توماس أدوارد لورنس، ثورة في الصحراء (مذكرات حول الثورة العرابية)، دراسة وتحرير احمد ايبش، ط1، ابوظبي، 2013.
4- جمال الدين الحسيني الافغاني، خاطرات الافغاني، إعداد وتقديم هادي خسروشاهي، تقرير محمد باشا المخزومي، ط1، القاهرة، 2002.
5- حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ ايران السياسي، المجلد 3، ط1، بيروت، 2008.
6- خليل عبدالحميد عبدالعال، جوانب من التراث الهندي الاسلامي الحديث، ط1، جامعة الاسكندرية، 1979.
7- سلم النويدري، أعلام الثقافة الاسلامية في البحرين خلال 14 قرناً، ط2، ج2، 2015.
8- سوامي نيخيلاناندا، الهندوسية تحضيرها لانبعاث الروح، ترجمة نبيل محسن، ط1، سوريا، 2000
9- عادل تقي البلداوي، الرواد الاكاديميون ودورهم في بناء المدرسة التاريخية العراقية المعاصرة، ط1، 2016.
10- عبد الحسين عباس الاعسم النجفي، الرحلة الاعسمية في الديار الهندية أي الزهور في رامبور، المطبعة الحجازية بالهند، 1346هـ.
11- عبدالكريم الدباغ، كواكب المشهد الكاظمي في القرنين الاخيرين والقرن الحالي، ج1، ط1، منشورات العتبة الكاظمية المقدسة، 2010.
12- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517-1952، ط1، الاسكندرية، 1989.
13- محسن أمين العاملي، أعيان الشيعة، ج3، ج7، ط1، بيروت.
14- محمد باقر احمد البهادلي، السيد هبة الدين الشهرستاني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية، ط1، بيروت، 2002.
15- محمد ضياء الرحمن الاعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية واديان الهند، ط2، 2003.
16- محمد هادي الاميني، معجم المطبوعات النجفية، ط1، مطبعة الاداب النجف الاشرف، 1966.
17- هبة الدين الشهرستاني، رحلة هبة الدين الشهرستاني الى الهند، تحقيق جواد كاظم البيضاني، ط1، بيروت، 2012.

ثالثاً-الكتب الانكليزية

1-C.A. Kincaid and Rao Bahadur, A History of The Maratha People ,Vol.II, London, 1922.
2-Devdutt Pattanaik, The Book of Ram, newdelhi , 2008.
3-F. B. Bradley-Birt, Twelve Men of Bengal in The Nineteenth Century, Calcutta.
4-F.P.Rob Robinson, The Trade of The East India Company From 1709 To 1813. Cambridge University Press.1912.
5-Joe Bindloss, Northeast India ,India, 2009.
6-Joe Bindloss, Northeast India, first published,2007.
7-Ravi Bhatt, The Life and Time of Nawabs of Lucknow, india ,2011.
8-Sandria B. Freitag , Culture and Power in Banaras,u.s.a,1989.
9-Sarina Singh, South India , india , 2009.
10-Sarina Singh with others ,India, first published, india ,2009.

رابعاً: البحوث والدوريات

1- جاسب عبدالحسين صيهود الخفاجي، الصحافة النجفية بين عامي 1910-1932 دراسة تاريخية، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، المجلد 14، العدد1-2، 2011.

2- حسين لفته حافظة، مكانة الادب عند السيد هبة الدين الشهرستاني (مجلة العلم انموذجاً)، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد 1، العدد12، جامعة الكوفة، 2011.

3- علاء حسين الرهيمي، اسماعيل اسماعيل طه الجابري، أسرار الخيبة في فتح الشعيبة 1914-1915 لهبة الدين الشهرستاني، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، الاصدار 3، 2008.

4- محمد سعيد الطريحي، مجلة الموسم السيد هبة الدين الشهرستاني فيلسوف الاصلاح الديني والمفكر الوطني العراقي، العددان 132، 133 (عددان خاصان)، 2017.

خامساً: الانترنت

1- مدونة الاستاذ الدكتور ابراهيم العلاف. http://wwwallafblogspotcom.blogspot.com/2015/05/blog-post

Sovan Chatterjee to be new Kolkata mayor - Hindustan

2- www.hindustantimes.com.